المركز العربي للمعلومات

L IA 155 sh 1,

44209

السفير

١٥ أيار ١٩٩٩

معرض الفنان شفيق عبود

موسيقى الروح منغومة بحمولات الالوان

شفيق عبود هذا المتصوف التشكيلي، والصفة حقيقية الى حد ما، وكأنما عينه يقظة ساهرة باستمرار وكانها لا تنام، لكنها تصدر المنامات والاحلام في بانوراميتها اللونية، وفي فضاءاتها النورانية، تتلقط وتتخاطف الشهب والنيازك. البروق والرعود، وصهارات البراكين السائلة المجمرة، تغزل نسيج اقواس قزح في كل ما تلمه من جوف الكون، ومن اثيريته العمياء، وكان شفيق عبود يرسم لوحته مفتح البصيرة، مغمض العينين، وكانه يتجون ويتجوى بها، ويمارس العشق المديد لها قدر ما يساعفه الزمن على انتظارها واختمارها، والشروع بتبديدها الواناً على البياض، وريشته تذهب عميقاً في الاحافير اللونية التي تتكهرب وتتمغنط هنا وهناك، موسوسة هامسة، شاعرة، سافرة عن نمشها وتوناتها وخلاياها، في حقول هابة الى سماوات قزحية، يتقدس فيها الفنان، ويهاجر في العذوبة والوصال والرماد، وبين يديه جمر القلب وعصير الالهة المنسية، وكان كل ما يلمسه شفيق عبود او يتلمسه، او يمسه، يستيقظ وينهض، ينبثق ويبزغ وينفجر فجاءة، في جواءات اشراقية، له منها مساورات ومسامرات، لا تنقضي، وكان هاجسه عزيف موسيقى المياه اللونية المذابة. اللطيفة والكثيفة منها، حسبما تتوافر له المناخات الحانية او المتحركة..

وشفيق عبود، بضربة ريشة واحدة، يشعل حقل لوحة، وحقول لوحات باكملها، وكانه عراب الوان مميزة نضرة، حية وحيوية، متوهجة ساطعة، محمولة على صياغات هارمونية تنعقد في البرك المتلالئة التي يتحافرها، ويتعاورها في سديم لوحته الاثيري، فإشراقاته دائماً مغسولة بالنور، بذلك الفيض المتموج الرقراق على سكينته، حتى لو كان الوضع انفعالياً، وكان الفنان مستثاراً بعصبية اليد والريشة، فإن الإيقاع لا يختلط، ولا يتشوش، والمزاج في صبواته الغامرة الى الجوهر، الى الدفين في عروق اللوحة، وجلدها الدسم الموسوق، باطايب الاحلام والقزحيات الجارية في الظهور والخفاء، وكان ما يعقد عليه العزم في اللوحة، يصل الى غيره، وكانه يمارس غيابات في ذروات الحضور، ويمارس نشوات في التراخي والتراضي بين المتحرك، والساكن الافتراضي، ولا يقف عند حد، بل يخترع فضاءات عاطرة بازكى الروائح في كل لوحة من لوحاته الكبيرة، وكان اللوحات الصغيرة، بعض التفاصيل من الكبيرة، او انها عزف منفرد، بعكس ما هو عزيف جماعي في اللوحات الكبيرة، يمارسه بجوقات انشاد وموسيقيين ومغنين، وكل تلاوين هذا العزيف الجماعي في الوعي واللاوعي، او في الشعور واللاشعور..!

وصياغة اللوحة عند شفيق عبود، قوية مشدودة الى عصب متين زاخر بالرؤى الجمالية للطبيعة والاشياء والكائنات، والاماكن، وتزامنات العناصر، حيث يحترب ويشتجر في داخلها يعربش ويعرش، ويخصب شقوقها واخاديدها، وكتلها الساحرة الاسرة، الحاشدة بالقوة والطاقة على التعبير عما يجيش في اعماقه عن تساؤلات الحياة، والوجود والعدم، وغايات الانسان، وهو لشدة فرادته، يخترع في كل لوحة، فضاء ومراودات ورغائب، وشهوات قابعات تحت قشرة التلاوين وتهشيراتها التي تنبض بانغام الالوان، والوان الانغام، ورماد الموسيقى، وعلى كثرة البياض الرحمي الحاوي المحتوى على اجنته الشكلية واللونية، يتطارح ابعاد اللوحة، مسافاتها وامداءها، اغساقها، واشفاقها، صباحاتها،

شفيق عبود

المركز العربي للمعلومات

والمساءات التي تحتدم بغروب الالهة، كل ذلك لان الريشة تترصد نبض القلب، وصهيل الروح، في مضامير واحناء البياضات والمساحات المتعاضدة المتغافرة.

وليس شغفه بالالوان فقط وهي مادة الفنان للتعبير، او ابجديته لصياغة اسلوبه الفني، وبلورة شخصيته النورانية المتقدة، بل اكثر من ذلك، كان لديه حمى غاوية كاوية، على ارتباكات الالوان وارتكاباتها، وربما الرسم من بداياته القلم الرصاص الى تجويد وترقيش اللون، وتقميشه في اللوحة، وكانه في مرحلة القيشاني التي قالها نزار قباني، بينما شفيق عبود يقوله ادونيس، وهذه هي رحلات الجواني والبراني في لوحته، ورغم ما تبثه من سطوحها كاضواء، وامواج، وحركات واصوات، فإن ما تبثه من خلاياها، وما تجهشه وتنشجه، وتتاساه، اكبر بما لا يقاس، فالابار هي التي ترجع اصداء الحياة، ورنين اجراسها في الروح، وهي التي تذكر وتستذكر نبيذ الالوان، ومناولاتها من الجرار والاجران، وكان شفيق عبود يمارس السياحة البصرية، في نصه البصري، وابداعه وبراعته، واختباراته المتمادية، تضعه في هذا المهب الناري الدفيء الساخن الذي يتقارب فيه ويتباعد، ويتقراه بلمس عينه، واستيهام بصيرته، وطاقته على التجريد الرهيف الشفيف الذي يتدافعه ويتقارفه هنا وهناك، وكان ما تمتلىء به اللوحة، شيء من فوران اللهب في الروح، واطراف مشتعلة من ثياب العشاق والمحبين والشعراء، وهو يكترث لهابة لوحته وحضورها، فلا يتغافل عن فك مغاليقها، وتبييض رموزها، وترويض جموحها، واستطرادها، وسردياتها، بشكائم حباله اللونية، حتى تعن له وترق، فيروق فيها، ولا يرضى بل يصاعد كبخارات وسرابات تنطلق كاسراب نحل على زهور الوانه لتشتار عسلها الذي يتلامع في الشموس والاقمار..

إنه يزرع تربته، بعد ان يعزقها بريشته وتجلياته ورؤاه، بشموس الالوان ويتغارس اقمارها، ويتفكر في نجومها، ويعقد المسرة في الالوان الدافئة، الاصفر الاحمر الاخضر الفاتح الزهري، البنفسجي المحير الغامق والفاتح، وكل البياض والرمادي المبيض والمسود، والمخضر والمحمر، وكل ما يتلاقى ويتجاوز ويتفارق، ويتواصل، حتى تكتمل سمفونية الالوان في سريرته، فيدغم علاماتها واشاراتها، ويرغب في سيرورتها حتى على الطرق الغامضة المجهولة...

وشفيق عبود فنان الروح، وكرنفال العين، وكريستال الجسد في لوحاته، هو الان في صالة جانين ربيز، يشهر اربعاً وعشرين لوحة، فيغير هواء المدينة، الوانها، اضواءها وظلالها، ويعقد لوحاته قرابين في عشقها، وتتناصف لوحاته المساحات بين كبيرة وصغيرة، وموادها على التوال والورق، بالزيت والاكليريك، والتمبرا، وكان تنوع المواد ينوع الصياغات والتقنيات، والمناخات التشكيلية، التي يبتكرها، حتى لا تظل قابعة تفعل فعلها في الخفاء، انه يتفصد الوانه دماً، ويتقاطرها، ويتسافحها، ويمجها ويضخها دخاناً وضباباً مرات، وكانه في طقوسية قل نظيرها، يتعرقها، ويتخاصب فيها، ويتفاقم حد انفجاراتها، او كمونها، كما يقتضي التعبير الفني، ومجريات الجسد والرؤى والاحلام، حتى لو شاب ذلك كله هندسات فضائية فلكية، فإنه لاعب الفراغ بامتياز، وحتى لو شاب ذلك عقلانية موسومة وموشومة بذاتية، تتفكر احياناً، الا ان الغريزة، ورهافة الطفولة، والحدس والذوق، تسود لوحته، وتجعلها على اهبة الاسترسال، والتمادي، والتمدد واتساع البصر والاستبصار فيها، بل هي في مراكزها العصبية اللونية، بؤرية، ومحرقية تبث الشعاعات في كل اتجاه، وتلمها او تسترجعها من كل حدب وصوب، معتمدة نوراً داخلياً بينابيع غفيرة، قادرة على السطوع والجريان، وسريان مفعول الالوان والاشكال..

وهو الذي راى. هو الذي يرى رؤيا في الزمان والمكان، والإنسان، وكان لديه ذلك الحريق الداخلي، والانهمام الذاتي الذي لم تنل منه السنون، وكانه برميثيوس سارق النار، لكنه ليس المعاقب، إنه يضيء ظلمة العالم بلوحاته المشرقة الاشراقية في معظمها رغم التوريات الظلالية، فاستعاراته تفضي الى الضوء، ورشوحاته، والى النور الداخلي وصدوحاته، وهو يتناصح هذا ويتنافده في فضاء نصوصه التشكيلية، وكان لا مسعى له سوى التنغيم والتجويد والتطريب، وارتجال الصمت، كما الدوي الهائل المكنون في كل ما تبتدعه يداه وعينه، ولا يتساكت عما هو فيه من هجيان وغليان، فيصاعد شبقاً لونياً حامياً ودامياً، يوشيه ويوشحه في المسافات والمساحات والخبايا والزوايا، لكانه يقترح على نفسه وجوداً جديداً، ويقترح استيطاناً واستبطاناً رغم غربته، ومرايا الطبيعة عبارة عن فيض حنين، يضنيه، ويشقيه، الا انه يعبر عنه بتفارحات لونية، وقزحيات تتراقص، وتتغاوى، ربما منبوحة من الالم، وربما طافحة بالاحلام والنسيان...!

والاكثف والادسم والاكثر لطافة ورهافة، وربما بعض عنف وقسوة في نصوصه الفنية، هو ما يتقصاه، ويتفانته بمادة الزيت على القماش، خاصة ان فضاء اللوحة المترامي في الاعماق، يجعله يمارس البزوغ، وهواية الاضداد، بين امتداد المساحة وانجراحها بغيرها من الاشكال والالوان، انه زراع الوان سخية، شجية، فواحة، ماطرة، وعاطرة على حد سواء، هي حليفته وهو حليفها، من هنا تاتي شحناته الكهربائية، ونبضاته الالكترونية فيها، وهو يمارس الالخيمي، اي تحويل الالوان كلها الى ذهب، ولانه لم يعثر على بغيته هو في شرف المحاولة والمناولة والمنازلة، نسيج وحده، وقد تمدد تاثيره الى كثير من نصوص الفنانين اللبنانيين، فلغمها بالقوة والاحتدام والحيوية، ودفعها للتفتيش عن مساع ومرام اخرى من مراميها، لان ذات الفنان المتفاعلة الفاعلة عند شفيق عبود تتقابس اسرارها من جعبته، ومن التناص والمثاقفة اللذين وقع في اضطرامهما وضراواتهما، لكنه نجا، والنجاة محفوفة بالمخاطر والمحاذير، وهو يخرج سالماً الى عراءاته التشكيلية بجسد قادر على الاختيار ومنح الدهشة والابهار..

وربما جاء شفيق عبود الى ناحية البراءة في جسده وروحه، يستقطرها ويستسقيها من صبواته وصباباته، وكانه يمطرها على شفتي ملوانته، كي تساعد على ترفيد لوحته وترشيدها بالحيرات والندامات، داخل تجريب يبري الجسد ويضني الروح، بسبب اشواقه واشتقاقاته الكثيرة، حتى كانه يشيد عمائر موهومة داخل اعماله، عمائر تتساكنها رياح المعصية، ورياح المحبة، وتعول فيها او تهدل روحه العاشقة القادرة على المفارقة والتحويم، على التحليق والطيران، دون وهن او تضعضع اوذيول، لان شعلة اللون السرمدية، تتغذى من رحيق روحه، وكانها تاخذ عشبة الخلود، حتى ترى الحياة في شباب ونضارة وربيع متجدد بين الفصول، على الارض كما في السماء وعلى البحر كما في الضياء، وعلى القلب حتى في الشتاء، اذ ان الالوان الفاترة لديه لها خاصية الاتقاد بحيوية الريشة وحركيتها، وتراقصاتها الوثنية الهائمة المسحورة، هي التي تخضع لطقوسية الحداثة الفنية التي يستهديها، ويذهب في هديها الى اللانهايات، الى نصوصه التشكيلية المفتوحة ابوابها ونوافذها على النور والنار...

وهو في عراء الابدية والزمان يسترسل لاسباق الوقت الذي يتافق ويتعامد في اماكن لوحاته وكائناتها، وكانه يعربد ويثمل في ثريات الالوان المضاءة الباذخة البارقة بالف لوين ولوين، وما ذلك الا لان الفنان قادر على تجوين وتجريف داخله بواسطة الصخب الكلي الذي يعتريه، فيرشح رشوحاته الباطنية تلك، ويرى الى مشحاتها الملونة، واصائلها، واستفاقاتها، وكانها تمنحه حساً عارماً بالتجدد، والتغور والتغول في الرؤى الجمالية التي تتنازعه بين الصحو والمحو، وبين الاصطلاء والاصطلام.

عوالم فاتنة ومغرية وحساسة، شاعرية مرهفة، رشيقة ورهيفة، مبتغاة مشتهاة، ونوافذ على الحلم والهواء، وعناقيد انوار واضواء، تلكم هي لوحات شفيق عبود الذي يؤثر العرض حيناً بعد حين في وطنه لبنان، وفي بيروت العاصمة الثقافية هذا العام، وهو مشكور لذلك من باريس الى بيروت، ومشكورة صالة جانين ربيز، وصاحبتها نادين بكداش على هذا المعرض الفريد، الرائع والجميل...!

زهير غانم

- معرض الفنان شفيق عبود
- صالة جانين ربيز «الروشة»
- ٢٤ لوحة، صغيرة وكبيرة بالزيت والاكليريك، والتمبرا.
- ٥/٥ حتى ١٩٩٩/٥/٩.